

الخطاب الديني المتعالي وظاهرة العنف: قراءة تفكيكية

د. بوناب كمال: أستاذ محاضر قسم (ب).

جامعة باجي مختار، عنابة- الجزائر

bounab.kam@live.fr

تاريخ الاستلام: 2018/04/24؛ تاريخ القبول للنشر: 2018/12/11

الملخص:

توصف الفلسفة والدين على أنهما طريقان متعارضان في مقاربة "مسألة الخلاص"، فالأديان الكبرى مثلت محاولات جادة لتقديم إجابات عن معضلة "الخير الأسوأ"، بمعنى أن الأمر ارتبط في جوهره بإيجاد سُبُلٍ لبلوغ ما أسماه القديس أغسطين Saint Augustin "الحياة السعيدة" القائمة على فضيلة التواضع والتي تتنافى، حسب الحجة الدينية، مع غطرسة وغرور الفلسفة؛ يتمحور الأمر إذاً على خضوع مضاعف للعقل والحرية الفردية لقوة التعالي الإلهي؛ ما يجعل العقل منحنياً في النهاية أمام حقائق الوحي؛ أما الفلسفة، وعلى الرغم من أنها تشاطر الدين غاية تحقيق حياة طيبة للبشر، إلا أنها ترمي إلى تحقيق ذلك من خلال استقلال العقل وحدة الوعي؛ لذلك إنها لمفارقة أن تسائل هذه الورقة البحثية الخطاب الديني فلسفياً، على نحو: كيف يسهم الخطاب الديني المتعالي في بروز ظاهرة المفترسين الروحانيين؟

الكلمات المفتاحية: الترانسندنتالية؛ الخطاب؛ الدين؛ العنف

Abstract:

The idea that religion has a tendency to promote violence is part of the conventional wisdom of societies, and speech religious have been both a source of violence and of inspiration for non-violent activity in the service of peace, this article focuses on two aspects of speech religious are not easily separated (the passion and commitment of its members) ; likewise, advocates of a particular religion need a critical understanding of their own religion and a sympathetic outlook toward other religions.

Keywords: The religious speech, Transcendentalism, Violence.



Résumé:

L'idée que la religion a tendance à promouvoir la violence fait partie des idées reçues des sociétés et que les discours religieux sont à la fois une source de violence et une source d'inspiration pour les activités non-violentes au service de la paix. Cet article se concentre sur deux aspects du discours religieux ne sont pas facilement séparable (passion et engagement de ses membres) ; de même, les défenseurs d'une religion particulière ont besoin d'une compréhension critique de leur propre religion et d'une vision empreinte de sympathie envers les autres.

Mots clés: Le discours religieux, Transcendentalisme, La violence.

المقدمة:

توصف الفلسفة والدين على أنهما طريقان متعارضان في مقاربة "مسألة الخلاص"⁽¹⁾، فالأديان الكبرى مثلت محاولات جادة لتقديم إجابات عن معضلة "الخير الأسنى"، بمعنى أن الأمر ارتبط في جوهره بإيجاد سُبُلٍ لبلوغ ما أسماه القديس أغسطين Saint Augustin "الحياة السعيدة"⁽²⁾ القائمة على فضيلة التواضع والتي تتنافى، حسب الحجة الدينية، مع غطرسة وغرور الفلسفة⁽³⁾؛ يتمحور الأمر إذًا على خضوع مضاعف للعقل والحرية الفردية لقوة التعالي الإلهي؛ ما يجعل العقل منحنيًا في النهاية أمام حقائق الوحي؛ أما الفلسفة، وعلى الرغم من أنها تشاطر الدين غاية تحقيق حياة طيبة للبشر، إلا أنها ترمي إلى تحقيق ذلك من خلال استقلال العقل* وحدّة الوعي⁽⁴⁾؛ لذلك

(1). لوك فيري: "تعلّم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة". ترجمة: سعيد الولي، أبو ظبي: مشروع كلمة، د.س.ن، ص 27.

(2). كلود فيري وكلود كيليبي: "أجمل قصّة في تاريخ الفلسفة". ترجمة: محمود بن جماعة، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط 1، 2015، ص 17.

(3). لوك فيري: "تعلّم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة". مرجع سابق، ص 27.

*. يشار في هذا المجال إلى إسهامات ثلاثة فلاسفة نجحوا في توجيه البشرية أخلاقيا بعيدا عن تعاليم الدين، وهم: بوذا، سقراط، كونفوشيوس. لمزيد من المعلومات انظر السلسلة الوثائقية: Genius of the Ancient world, BBC four, 2015.

(4). كلود فيري وكلود كيليبي: "أجمل قصّة في تاريخ الفلسفة". مرجع سابق، ص 17.



إنَّها لمفارقةٌ أن تسائل هذه الورقة البحثية الخطاب الديني فلسفيًا، على نحو: كيف يسهم الخطاب الديني المتعالي في بروز ظاهرة المفترسين الرّوحانيين؟

بغية ضبط هذه الإشكالية، تمّ تقسيم الورقة البحثية إلى أربعة محاور:

1. الخطاب الترانسندنتالي: مقارنة معرفية
2. تحليل فوكوي للخطاب الديني
3. علاقة عدم التناظر في بنية تلقين خطاب الافتراس الرّوحاني
4. إبستمولوجيات بدء لتفكيك عنف الخطاب الديني

أولاً. الخطاب الترانسندنتالي: مقارنة معرفية

لا يُحلّل الخطاب بوصفه لفظاً مستقلاً بذاته فحسب، بل أيضاً يُنظر إليه على أنه تفاعل موقفي أو ممارسة اجتماعية، حيث تركّز مناهج دراسات الخطاب النقدية على العلاقات المعقّدة بين البنية الاجتماعية وبنية الخطاب، وطرق التأثير المتبادل بينهما، وقد يكون واضحاً "سوء توظيف السلطة" في اللغة عند وجود عنصر الاختيار لدى صانع الخطاب، فمثلاً للمتحدّث الخيار بتسمية شخص ما إرهابي أو مناضل من أجل الحرية، تبعاً لموقف المتحدث، عقيدته وأيديولوجيته الفكرية⁽¹⁾، فعلى سبيل المثال بعد أحداث برجي 11 سبتمبر طفاً نقاش خطابي في وسائل الإعلام الأمريكية: هل كان الهجوم "عملاً إرهابياً" أم كان "عملاً حربياً"؟، لقد أدّت الكلمات هنا دور بطاقات التمييز والتوضيح، فلو أُعتبر الحدث عملاً حربياً لتوجّب على باقي دول حلف الناتو، بموجب المادة الخامسة، أن ينخرطوا في الحرب معها، فمن شأن مصطلح ما أن يُحدث فرقاً ضخماً⁽²⁾.

يُعزى شيوع منهج تحليل الخطاب في العلوم الاجتماعية والإنسانيات إلى ميشيل فوكو، وتتضمن الدراسات الأثرية لـ فوكو فكرتين نظريتين رئيسيتين عن تحليل

(1). توين فان دايك: "الخطاب والسلطة". ترجمة: غيداء العلي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص، ص34، 35.

(2). جياميترو جوبو: "إجراء البحث الإثنوغرافي". ترجمة: محمد رشدي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص 52.



الخطاب؛ الأولى نظريةً بنائيةً للخطاب تنظر إليه على أنه مكوّن فعّال وباني للمجتمع في شتى الأبعاد، أما الثانية فتؤكد الاعتماد المتبادل فيما بين ممارسات الخطاب لمجتمع أو مؤسسة ما، فالتّصوُّص دائماً ما تهمل من بعضها، معاصرةً كانت أم تاريخية، وهو ما يطلق عليه بتعبير التّناس (1).

إنّ دراسة التّناس Textuality هي دراسة الأدائية في الخطاب؛ أي الطرق التي يتم بواسطتها إنتاج، نقد، نقاش ومراجعة المعاني والموضوعات، ورؤية العالم بصورة تناصية تعني رؤية التّواتج الثقافية كما لو أنها استقلّت عن كُتّابها وأُعيد تفسيرها عن طريق المفسّرين (2)؛ غير أنّ ما ميّز فوكو هو إفراده أهمية كبرى لتحليل الخطاب من باب أنّه قوّة بناءة تساهم في إنتاج، تحويل وإعادة إنتاج، ليس فقط موضوعات الحياة الاجتماعية، بل ذواتها أيضاً؛ مستعينةً في ذلك بمصطلح "تكوين النّوعيات التعبيرية" بمعنى أنّ الأقوال تضع الذّوات، سواءً من تصدر منهم أو تُوجّه لهم، في مواقع محدّدة، حتّى إنّ وصف القول، من حيث أنّه قول، لا تتمثّل في تحليل العلاقة بين المؤلّف وبين ما يقوله، أو أراد أن يقوله، أو قاله دون إرادته، ولكن في تحديد الموقع الذي لا بدّ أن يشغله أيّ فرد إنّ كان له أن يصبح الذّات المتقولة (3).

الترانسندنتالي اصطلاحٌ كانطي (نسبة إلى إيمانويل كانط) خالص، يكاد يكون مرادفاً للكامن أو الباطن، ومقابلاً للبائن والظاهر؛ ومن المفارقات اللافتة أنّ كانط قد صرّح بأنّ المذهب المتعالي في الفلسفة شيء غير مشروع، على أساس أن الترانسندنتالي عنده هو شيء متعلّق بمبادئ التّجربة ومتضمّناتها، غير أنّه عندما رأى أنّ لفظ ترانسندنتالي عرضة للشبهات ومثارُ تأويلات بسبب إلتباسه بلفظ ترانسندنت Transzendente (بمعنى المتعالي) فضّل الاستعاضة عنه بمصطلح نقدي (4) أو "شارطي"،

(1). نورمان فيركلف: "الخطاب والتغيّر الاجتماعي". ترجمة: محمد عناني، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2015، ص، ص 57، 60.

(2). ديرك جريجوري وآخرون: "القاموس الموسوعي في الجغرافيا البشرية". المجلّد الخامس، ترجمة: عاطف معتمد وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2016، ص382.

(3). نورمان فيركلف: "الخطاب والتغيّر الاجتماعي". مرجع سابق، ص، ص62، 64.

(4). رسول محمد رسول: "إيمانويل كانط والفلسفة الترانسندنتالية". نقلاً عن: <https://platform.almanhal.com/Files/2/56787>، تاريخ الاطلاع: 21 أبريل 2018.



والفلسفة الشارطية هي تلك المرتبطة بالعقل التأملي أو العقل الخالص، إذ أنّ كل ما هو عملي بقدر ما ينطوي على دوافع بقدر ما يتعلّق بالمشاعر التي تنتهي بدورها إلى المصادر التجريبية للمعرفة⁽¹⁾؛ لذلك وجب الإرشاد إلى أنّ هذه الورقة البحثية تُولي اهتماماً لمصطلح الترانسندنتالية على أساس مُعجبي وليس ضرورة بما يرتبط بفلسفة إمانويل كانط.

يضع الخطاب الترانسندنتالي حدوداً فاصلة بين الذات والموضوع، ينظر للظاهرة، المخاطب والمبحوث من علّ، يفصل بجمود بين ما هو عقلي وما هو انفعالي، لا يتمحور اهتمامه حول الإصغاء إلى من كُتمت أصواتهم أو أولئك الذين حُكم عليهم بأنهم مختلفون؛ إنّ خطاباً بقدر ما يبدو مُشبعاً بالقيم، كما هو حال الخطاب الروحي، بقدر ما يبدو محايداً تجاهها، هو نتاج قهر منظم علمياً ومؤسّساتياً، تتمثّل أسى أبعاده في وضع الخطيب في مستوى أعلى من المتلقّي، على أساس أنّ الخطيب يعتبر نفسه الطّرف العارف.

ثانياً . تحليل فوكوي للخطاب الديني:

إنّ الفكرة القائلة بأنّ للدين نزوعاً لممارسة العنف هي تنويعاً على الفكرة القائلة بأنّ الدين شأن شخصي لا يملك القدرة على حلّ التّزاعات عقلانياً، غير أنّ هذه الفكرة أسهمت في السياق المعاصر في تهميش أنواع معيّنة من الخطاب مقابل شرعنة أخرى، من باب أنّها أضفت الشرعية على احتكار الدولة للعنف والولاء العمومي، فولاء الفرد لدينه هو ولاء خاص في الأساس، أو ولاء اختياري، أمّا الولاء للدولة القومية العلمانية فهو ما يوحد الجميع، ومن ثمّ فإنّه ولاء إلزامي⁽²⁾، إلّا أنّه و بمجرد العودة إلى استعارة المفاهيم الفوكوية ستظهر السّلطة هنا أنّها هي التي تُنتج المعرفة وليس العكس (وهو الذي كان سائداً)، معارفٌ تُهندس السّلطة أفكارها (بما فيها المعارف والأفكار الدينية)، هذه الشروط المتعالية التي تتحكّم في انفتاح وانسداد المعارف يُسمّيها فوكو بـ الإبيستيمية επιστήμη، في مقابل ذلك أولى فوكو أهمية قصوى لـ "مفهوم الذات" كونها

(1). أحمد عبد الحليم عطية: "كانط وأنطولوجيا العصر". بيروت: دار الفارابي، ط1، 2010، ص145.

(2). وليام ت. كافانو: "أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث". ترجمة:

أسامة غاوي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2017، ص190.



هي المسؤولة عن عزل الفرد عن الوقوع في أسْرَقَمِ السلطة الصّارمة، وبهذا المنظور يصبح الاهتمام بالذّات عودةً من جديد إلى البحث عن ما يشبه المخرج، مخرجٌ تشريح جثّة الإنسان المعاصر ونهوضه من الوهدة التي يرقد فيها، ولن تكون الذات بعيدةً عن تكرار النزيف التّاجم عن حضور السلطة الطاغية إلا بتقديمها نقدًا صارمًا لوهم الأنّا الواعية لذاتها، المتيقّنة من إدراكها لشفافيتها المباشرة وللعالم من حولها؛ إنّها في الجوهر اهتمامٌ بالذّات في علاقتها مع الآخر⁽¹⁾.

أبرز فوكو أنّ مشكلته الرئيسية تتمثّل في الإجابة عن: ماهي القواعد القانونية التي تُقيمها السلطة من أجل إنتاج خطاب الحقيقة؟⁽²⁾، ورغم أنّ الخطاب الديني شدّد في كل المنصّات تقريباً على تقديم نفسه بوصفه نزهيًا ومستقلًا عن السلطة، إلا أنّه تاريخياً مكّنّته السياسة من الظهور لممارسة أنشطته، كما اتّضح مؤخرًا مع شيخ الحرم الذي صرّح بأنّ دونالد ترامب والملك سلمان يقودان العالم سويًا نحو السلام، وكما تبين أنًّا مع الخطيب البليغ أبو القعقاع داعية المخابرات السّورية، وقبل هذا وذاك شرعنَ القديس أغسطين مذهب الحرب العادلة كتبرير لاهوتي للتوسع الرّوماني؛ مع الإقرار بأنّ الخطاب الديني لا ينتهي عنفوانه، بما أنّ النفس لا تجد طمأنينتها إلا في سند معنوي يطهرها من الخطيئة، رغم ذلك ما زال في إمكان النقد أن يقدّم نماذج نوعية يمتزج فيها الجدل بالحجاج لتفكيك بُنى سحر هذا الخطاب وقوّته، وتحديّ تشعّباته التي فسحت الطريق أمام نوع من التّدين المريض، ويمكن إيجاز أهم الانتقادات الموجهة للخطاب الديني في النقاط التالية⁽³⁾:

لا يستطيع الخطاب الديني في مجمله إثبات نفسه إلا بواسطة العنف اللساني، كما أنّه لا يمكن أن يحيا إلا بنفي الآخر، وأحيانًا ينفي من يشاركه التّدين ذاته، لذلك

(1). بلفار حليلة: "إشكالية السّلمة عند ميشال فوكو". مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة،

جامعة سعيدة، 2017، ص، ص 27، 28.

(2). ميشال فوكو: "فلسفة السّلمة". ترجمة: الزواوي بغوره، نقلًا عن: hekma.org/ فلسفة-السلطة-2-

ميشال-فوك، تاريخ الاطلاع: 22 أبريل 2018.

(3). سعود الزدجالي: "في الخطاب الديني". نقلًا عن: www.alfalq.com/?author=270، تاريخ الاطلاع: 23

أفريل 2018.



أصبح هذا الخطاب يشغل ذهن المتلقّي عبر الفتاوى، تمييز الآخر ونفيه، تبكيته، إحراجه وتضليله.

تكشف البيانات العنيفة لميلاد هذا الخطاب أن الصراع طبيعة في بنيته، وإذا فقد هذا الصراع سيكون ماله الزوال، فالدين الذي كان يُفترض أن يُضفي على حياة المتلقّي طمأنينة واستقراراً، على أساس أنه واهب المعنى للحياة، أصبح مُثَقلاً بالتكاليف والتجارة مع الله.

ثالثاً. علاقة عدم التناظر في بنية تلقين خطاب الافتراس الروحاني

جادل جيفري زاليسكي أن الجماعات التي تميل تعاليمها إلى الفوضى وتفتقد في تراتبيتها إلى تعقيد التسلسل الهرمي قد يتحوّل منتسبوا في نشاطهم التبشيري إلى "مفتريين روحانيين" Spiritual predators، ولا أدلّ على ذلك من حادثة الانتحار الجماعي لـ 39 عضواً من جماعة "بوابة السماء" Heaven's gate، وتورّط دافيد كوريش قائد طائفة "الفرع الداوودي" في مقتل 54 بالغ و21 طفل في حادثة وايكو Waco بـ تكساس، إضافة لاضطلاع فرقة "أوم شينيكو" المتطرفة في تسميم مترو أنفاق طوكيو بغاز السارين، وقد خلفتها جماعة هيكاري نووا بدءاً من سنة 2007⁽¹⁾.

يشترك التواصل البشري في هذه النماذج وغيرها في الافتقار إلى التوازن بين الخطيب والمتلقّي، لأنّه لا يبدو حريصاً على وضع المشاركين في مواقع مسؤولية متناظرة تبادلياً، وبحسب جاك لاكان فإنّ الفضاء الخطابي الملموس يتجذّر آخر الأمر في عملية فرضٍ عنيفة لنوع من الدالّ المفتاحي اللاعقلاني Stricto sensu يتعذّر إسناده إلى أسباب بيّنة، إنّّه منعطفٌ لا يستطيع فيه المرء إلا أن يقول "الطريق تنتهي هنا" أو إيقافاً للتحقير المتمادى يقول "الأمر هكذا، لأنني أنا قلت أنّه هكذا"، وهي ذات الفكرة التي رمى إليها ليفيناس حين أكّد على الطابع اللامتناظر للذاتية البينية، "ليس ثمة على الإطلاق أيّ توازن في التبادلية عند مقابلي شخصاً آخر"، والمساواة الظاهرية تجري إدامتها استطرادياً باستقطاب غير متكافئ وغير متناظر بين سيّد وعبد، بين شاذّ ومهووس، وهو

(1) - Erica Baffelli : « Japanese new religions online : Hikari no Wa and net religion ». In : Heida Campbell (Ed) : « Digital religion : Understanding religious practice in new media world », London and New York : Routledge, 1st published, 2013, p207.



ما يتنافى مع المقاربة الأيديولوجية الكلاسيكية التي تصف العنف على أنه تلقائي وعفوي⁽¹⁾.

لا تعتمد فاعلية العنف على العدد، فبإمكان رام واحد يحمل رشاشاً أن يُخضع المئات، غير أنه من المؤكّد أنّ السّمات الأكثر خطورة وجاذبية للعنف تظهر في اللّجوء إلى العنف الجماعي المستند إلى الأمان الذي يوفّره الانخراط في الجماعة، والذي يتدعّم بدوره بالتّلاحم المكثّف، أشكال الصّدّاقة والحميمية؛ وفي ذلك يطلب الخطاب الدينيّ الترانسندنتالي من كلّ فرد، من أجل سلامة الجماعة، أن يقوم بعملٍ لا تُكوص عنه حتّى يقطع جسور تواصله مع المجتمع المحترم، وبمجرّد قبوله سيجد نفسه مُخدّراً بشعار "ممارسة العنف تلحم النّاس مع بعضهم، وكل فرد هو حلقة في سلسلة عظيمة التي تقوم كردّ فعلٍ على عنف آخر"؛ إنّ القيمة الأولى التي تختفي بعد انصهار الخطبة الترانسندنتالية الدينية مع تكافل الجماعة هي "الفردية"⁽²⁾.

تشير كلمات فرانترفانون السّابقة إلى ظاهرة التّآخي في ميدان القتال، حيث تتجلّى آيات النّبيل ونكران الدّات، ومن بين كافة العوامل يظهر الموت هو الأقوى، أين يكون مُتاحاً له، على الأقل في المواقف الاستثنائية، تأدية دورٍ سياسي ما؛ إلا أنّه وعلى عكس ما هو شائع تُشدّد أرندت على أنّ العنف أحياناً يكون الطّريقة الوحيدة التي تؤمّن سماع صوت الاعتدال، وأنّ تطلب المستحيل لتؤمّن ما هو ممكن، بل قد يكون سلاح إصلاح أكثر ممّا هو سلاح ثورة⁽³⁾.

في تشديده على خطاب الموت، يكون الخطيب الديني الترانسندنتالي لا يختلف عن كثير من القادة الذين أبانوا على تطبّعهم بخصلة النّكروفيليا Necrophilia، أي الانجذاب العاطفي إلى كلّ ما هو ميّت ومفسّخ، متعقّن وسقيم، أو الشّغف بتحويل ما هو حي إلى شيء غير حي؛ وبالتدمير من أجل التّدمير، والمبالغة في تفكيك كل البنى الحيّة، يتشابه في ذلك الخطيب الرّوحي المتعالي مع هتلر وبوكاسا، ميلوسيفيتش و عيدي أمين؛ كلّهم

(1). سلافوي جيجيك: "العنف: تأملاتٌ في وجوهه السّتّة". ترجمة: فاضل جتكر، الدوحة: المركز العربي

للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2017، ص، ص66، 67.

(2). حنة أرندت: "في العنف". ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت: دار السّاق، ط1، 1992، ص60.

(3). نفس المرجع، ص، ص60، 72.



شاركوا في ترديد شعار الجنرال الإسباني ميلان أستراي سنة 1936 بجامعة سلامنكا "يحيا الموت" Viva la muerte، ولكن قليل فقط من انتهج سبيل رئيس الجامعة آنذاك ميغيل دو أنامونو الذي عقّب بأنّه "سمع للتوّ هتافاً نيكروفيلياً لا معنى له، يحيا الموت"، فالشيء الوحيد الذي يجعل الشرّ ينتصر، هو أن يظلّ الخير ساكناً لا يفعل شيئاً بتعبير إدموند بورك⁽¹⁾.

رابعا، إبستمولوجيات بديلة لتفكيك عنف الخطاب الديني

يتطلّب إنزال الخطاب الديني من برجه العاجي، في المقام الأول، تكثيف التوجّه نحو تطوير الإبستمولوجيات التي تهتمّ بالمناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، فقد ثبت بأن النساء هنّ الفئة الأكثر تعرّضا للقهر والاضطهاد جزاء هذا الخطاب الأبوي الذي جعلهنّ يعشن في ما يشبه قدور ضغط ثقافية، لذلك يستلزم الأمر وفق المنظور النسوي إلزاماً بـ "أخلاقيات العناية" Ethics of caring التي تعطي الأولوية للعواطف والمناقشات والمقابلات المركّزة، أمّا المنظورات الفكرية التقديرية فهي تحترس بطبيعتها من الأفكار الخاصة بـ "الحقيقة المطلقة"، والتي طالما ادّعى الخطاب الديني امتلاكها، وبواسطة التأمل والتساؤل يسعى النقادون إلى الانعتاق من أسر هذه الأيديولوجيا المسيطرة وخلق فضاء معرفة مقاوم ومضاد للهيمنة يعمل على زعزعة أركان العلاقات المادية والرمزية المسيطرة، ويتطلّع للوصول إلى المعارف الخاضعة أو المقهورة⁽²⁾.

يبدو المنظور ما بعد الاستعماري أكثر تحفّظا تجاه الخطاب الديني الترانسندنتالي، من باب أنّ عملية بناء الدولة، في العالم الغربي، تمّت على قرون من الحروب الدينية المتكررة والصراعات الأهلية وسحق الانشقاقات، وغالبا ما ترتّب عنها إبادات جماعية وإخضاع للسكان الأصليين، أما محصّلة ذلك فكانت دولا قوية مستقرة سياسيا ومزدهرة اقتصاديا، دول صناعية تتمتع بدعم الغالبية العظمى لسكانها، ورغم بروز قضايا جديدة تدفع بالدول الصناعية إلى إعادة تعريف نفسها وعلاقاتها التي تربطها

(1). كمال بوناب: "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي". أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2017، ص، ص 140، 141.

(2). شارلين هس بير وباتريشيا ليفي: "البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية". ترجمة: هناء الجوهري،

القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2011، ص، ص 76، 82.



بالمواطنين، إلا أنّ التفاوض على هذه القضايا لا يكون إلا داخل هياكل سلطة الدولة بصفتها المحتكر الوحيد للشرعية⁽¹⁾.

مثلاً شرّعَ الخطاب الديني اضطهاد الفقراء والنساء، فإنّه كان متورّطاً في نشر الإمبريالية الغربية، ودائماً ما كان يُنظر إلى البنى السياسية والاقتصادية على أنّها انعكاسٌ للإرادة الإلهية، هذا العنف ألقى بظلاله مراراً على الدين والثقافة، واستدرج عدداً هائلاً من البشر، الذين قد يكونوا طيّبين، إلى رقصته المدمّرة؛ لقد وصّف جون هيك الدّين وخطاباته بأنّه إطلاقي، أما مارتين مارتني فوسمه بالانقسامي، وحاجج بيخو باروخ بأنّه لاعقلاني؛ وبعدسة حضارية نحى تشارلز سُلنجت إلى تبني أطروحة صامويل هنتنغتون بتفسيره على أنّه ردّ فعلٍ على ما تنظر إليه حضارة بعينها على أنّه تهديد لثقافتها الدينية، هويّتها التاريخية فضلاً عن أماكنها المقدّسة، غير أنّ ويليام كافانو يعتبر هذه المساهمات سقوطاً في إساءة التوصيف، لأنّ هذه القراءات تحجب أو تتعamy عن الطريقة التي انخرطت فيها السلطة في انزياح أو تغيير دلالات استعمال هذا المفهوم، فالتحوّلات الكبرى في المصطلحات والممارسات قد ترافقت مع تغيّرات في الطريقة التي يتمّ بها توزيع السلطة أو القوة⁽²⁾؛ وهي الفكرة التي تُناقض ما تمّ ترويجه عن عصر التنوير الأوروبي من أنّ الدّين بالأساس وعي أخلاقي يلزمه وجود حرية أو عدم قسر في اتّخاذ القرارات الدّينية وينحصر في الحيز العام⁽³⁾، لذلك سيظلّ الخطاب الديني في طبعه الترانسندنتالي متوهّجاً في ظلّ عدم إنفلاته فعلياً، لا بلاغياً، من قبضة المؤسسات الاجتماعية عموماً والمؤسسة الأيديولوجية خصوصاً؛ هذه الأخيرة تبدو حاميةً له حتى وإن ارتدت في كثير من المرات عباءة الوسطية أو العلمانية.

(1). كمال بوناب: "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي". مرجع سابق، ص 142.

(2). وليام ت. كافانو: "أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث". مرجع سابق، ص، ص 23، 129.

(3). هاني عوّد: "التدين الشّبابي: نمطٌ منفصل من المؤسسة الأيديولوجية". الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011، ص 20.



الخاتمة:

قدّمت هذه الورقة البحثية قراءة أركيولوجية في بنية الخطاب الديني الترانسندنتالي، مستندةً إلى فلسفة ميشيل فوكو في تحليل الخطاب، ومبرزةً علاقة عدم التناظر بين الخطيب والمتلقّي في بنية التواصل والتي تُنتج في المحصّلة ظاهرة العنف التي تمّ وسمها بالمفترسين الروحانيين؛ مرشدةً إلى ضرورة الانفتاح الأكاديمي على المناهج الكيفية والأصوات المهملة في المجتمع والنسق الدولي لتجاوز معضلات هذا الخطاب، أمّا ممارساتيًا فقد أقرّت أنّ تحولات هذا الخطاب قد اقترنت بتحوّلات موازية في توزيع السلطة والقوة ما جعله في النهاية مجرد انعكاس لأولويات المؤسسة الأيديولوجية، مُقرّة ومقترحةً ضرورة تقديم تحليل بنيوي موازي على أساس أن التركيبة الاجتماعية ووشائج صلة الحاكم والمحكوم قد تساهم بدورها في توليد ظاهرة العنف، فعلى قول حنّة أرندت "إذا ما سبرنا غور التاريخ لنعرف كيف يتحوّل الأناس الملتزمون إلى أناسٍ غاضبين، سيتبيّن لنا أنّ السبب الرئيسي لا يكمن في حدوث الظلم، بل في بروز التّفاق".

قائمة المراجع

أ. الكتب:

- . لوك فيري: "تعلّم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة". ترجمة: سعيد الولي، أبو ظبي: مشروع كلمة، د.س.ن.
- . كلود فيري وكلود كلباي: "أجمل قصّة في تاريخ الفلسفة". ترجمة: محمود بن جماعة، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015.
- . توين فان دايك: "الخطاب والسلطة". ترجمة: غيداء العلي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014.
- . جيامبيترو جوبو: "إجراء البحث الإثنوغرافي". ترجمة: محمد رشدي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014.
- . نورمان فيركلف: "الخطاب والتغيّر الاجتماعي". ترجمة: محمد عناني، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2015.
- . أحمد عبد الحليم عطية: "كانط وأنطولوجيا العصر". بيروت: دار الفارابي، ط1، 2010.
- . وليام ت. كافانو: "أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث". ترجمة: أسامة غاوجي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2017.



- . سلافوي جيچيك: "العنف: تأملات في وجوهه الستة". ترجمة: فاضل جتكر، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2017.
- . حنة أرندت: "في العنف". ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت: دار السّاقى، ط1، 1992.
- . شارلين هس بيبر وباتريشيا ليفي: "البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية". ترجمة: هناء الجوهري، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2011.
- . هاني عوّاد: "التدين الشّبابي: نمطٌ منفصلٌ من المؤسسة الأيديولوجية". الدّوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.
- Erica Bafffelli: «Japanese new religions online: Hikari no Wa and net religion». In: Heida Campbell (Ed): «Digital religion: Understanding religious practice in new media world». London and New York: Routledge, 1st published, 2013.
- ب. مذكرات التّخّرج:
- . بلفار حليلة: "إشكالية السّلطة عند ميشال فوكو". مذكّرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة، جامعة سعيدة، 2017.
- . كمال بوناب: "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي". أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة باتنة، 2017.
- ج. الموسوعات:
- . دريك جريجوري وآخرون: "القاموس الموسوعي في الجغرافيا البشرية". المجلد الخامس، ترجمة: عاطف معتمد وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2016.
- د. روابط الأنترنت:
- . رسول محمد رسول: "إمانويل كانط والفلسفة الترانسندنتالية". نقلاً عن: <https://platform.almanhal.com/Files/2/56787> ، تاريخ الاطلاع: 21 أفريل 2018.
- . ميشيل فوكو: "فلسفة السلطة". ترجمة: الزواوي بغوره، نقلاً عن: hekma.org/ فلسفة-السلطة-2-ميشيل-فوكو، تاريخ الاطلاع: 22 أفريل 2018.
- . سعود الزدجالي: "في الخطاب الديني". نقلاً عن: www.alfalq.com/?author=270 ، تاريخ الاطلاع: 23 أفريل 2018.

